

أعضاء البيان

@ 39 @ صيغة عموم بلا خلاف ، كما أشار إلى ذلك في مراقبي السعود بقوله عاطفاً على صيغ العموم : وَلَا يُفْهِمُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } . وقد قدمنا في سورة (بني إسرائيل) أن الفعل في سياق النفي من صيغ العموم . لأنه ينحل عند بعض أهل العلم عن مصدر وزمان ، وعند بعضهم عن مصدر وزمان ونسبة . فالمصدر كامن في مفهومه إجماعاً ، وهذا المصدر الكامن في مفهوم الفعل في حكم النكرة فيرجع ذلك إلى النكرة في سياق النفي وهي صيغة عموم عند الجمهور . فظهر أن الفعل في سياق النفي من صيغ العموم ، وكذلك الفعل في سياق الشرط . لأن النكرة في سياق الشرط أيضاً صيغة عموم . وأكثر أهل العلم على ما ذكرنا من أن الفعل في سياق النفي أو الشرط من صيغ العموم ، خلافاً لبعضهم فيما إذا لم يؤكد الفعل المذكور بمصدر . فإن أكد به فهو صيغة عموم بلا خلاف ، كما أشار إلى ذلك في مراقبي السعود بقوله عاطفاً على صيغ العموم : % (ونحو لا شربت أو إن شربا % واتفقوا إن مصدر قد جلبا) %

والتحقيق في هذه المسألة : أنها لا تختص بالفعل المتعدي دون اللازم ، خلافاً لمن زعم ذلك ، وأنه لا فرق بين التأكيد بالمصدر وعدمه . لإجماع النحاة على أن ذكر المصدر بعد الفعل تأكيد للفعل ، والتأكيد لا ينشأ به حكم ، بل هو مطلق تقوية لشيء ثابت قبل ذلك كما هو معروف . وخلاف العلماء في عموم الفعل المذكور هل هو بدلالة المطابقة أو الالتزام معروف . وإذا علمت ذلك فاعلم أن قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ } { يَعْم نفي جميع أنواع الفلاح عن الساحر ، وأكد ذلك بالتعميم في الأمكنة بقوله : { حَيْثُ أَتَى } وذلك دليل على كفره . لأن الفلاح لا ينفي بالكلية نفيًا عامًا إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر . ويدل على ما ذكرنا أمران : .

الأول هو ما جاء من الآيات الدالة على أن الساحر كافر . كقوله تعالى : { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَرِهُوا الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } .
فقوله { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ } يدل على أنه لو كان ساحراً وحاشاه من ذلك لكان كافراً . وقوله { وَلَا كَرِهُوا الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا } يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ { صريح في كفر معلم السحر ، وقوله تعالى عن هاروت وماروت مقرراً له : { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } ،
وقوله : { وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ خِزْيَةٌ مِنْ خِلَاقٍ { أي من نصيب ، ونفي النصيب

في الآخرة بالكلية لا يكون إلا للكافر عياداً^١ بالله تعالى . وهذه الآيات أدلة واضحة على أن
 من السحر ما هو كفر بواح ، وذلك مما لا شك فيه . .
 الأمر الثاني أنه عرف باستقراء القرآن أن الغائب فيه أن لفظة { لَا يُفْلِحُ } يراد
 بها الكافر ، كقوله تعالى في سورة (يونس) : { قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
 سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ
 عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهِادَا^٢ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ
 إِنَّمَا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي
 الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ^٣ ثُمَّ نُنْزِلُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ
 بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } ، وقوله في (يونس) أيضاً : { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الْمُجْرِمُونَ } ، وقوله